خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٥/١

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

اليوم سوف أسرد لكم مِن حياة وسيرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، الخادمِ الصادقِ البارِّ للنبي ﷺ، أحداثا تبيّن كيف تمسّكَ بالصدق مهما كان الثمن، وكيف عمل بالصدق بكل قوة، وكيف تحدّى معارضيه في هذا المجال. أولاً أقرأ على مسامعكم ردَّ المسيح الموعود عليه السلام على أكبر معارضيه الشيخ محمد حسين البطالوي الذي اتهمه بأنه كافر وكذاب. وهو رد واضح وتحدٍّ عظيم بحيث لو نظر إليه المرء بعين العدل والإنصاف لما صدّق هذه التهم أبدًا، أما الذين على عيونهم غشاوة التعصب فلن يروا شيئا من نور. وهذا هو حال مشايخ اليوم أيضا.

ذات مرة أرسل الشيخ محمد حسين البطالوي إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام رسالة نَعَتَه فيها بأنه مخالف لدين الإسلام، وكافر وكذاب وما إلى ذلك –نعوذ بالله. فرد عليه المسيح الموعود عليه السلام في رسالة مفصلة قال فيها:

"لو نظرتَ إلى سوانح حياتي كباحثٍ عن الحق؛ لتبيّنَ لك بأدلة قطعية أن الله تعالى قد حماني من رجس الكذب دائمًا، حتى صارت نفسي وعزتي أحيانا مهددتين بخطر شديد في المحاكم الإنجليزية بحيث نصحني كل محام بأنه لا مناص لك من الكذب (أن كل المحامين أشاروا عليّ أنك لن تنجو إلا بالكذب) ولكن الله جل شأنه وفّقني أن أتنازل عن نفسي وعزتي من أجل الصدق، وتحملتُ أحيانا في القضايا المالية خسائر فادحة في سبيل التمسك بالصدق المحض، وشهدتُ أحيانا على والدي وأخي خشيةً لله تعالى، ولكن لم أَدَعِ الصدق من يدي. لقد قضيت عمري في هذه القرية (أي في قاديان) وفي بطالة أيضًا؛ ولكن من ذا الذي يسعه أن يثبت أنني تفوهت بالكذب ولو مرة واحدة؟ فما دمتُ لم أفترِ على إنسان لوجه الله فقط منذ البداية، وضحّيت بمالي ونفسي مرارا في سبيل الصدق، فكيف أفتري على الله كذبًا؟".

وكان الشيخ البطالوي كتب أيضا في رسالته هذه للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أن الكذب والخداع قد أصبحا وصفك اللازم كأنهما جزء من طبعك. نعوذ بالله من ذلك، والحق أن قول الشيخ البطالوي هذا كذب صريح ومحضُ افتراء لا دليل عنده على صحته، فكتب عليه السلام في الرد على تهمة الشيخ هذه وقال: "أيّها الشيخ، إن الذي يكون متقيا وابنَ حلال فإنه أولاً لا يجرؤ على اتهام أخيه بالفسق والكفر دون تحقيق كامل، وإذا اتهمه بهما فإنه يقدّم عليه ثبوتًا كاملًا يكون كوضح النهار. فإن كنتَ متصفًا بهذين الوصفين؛ فأناشدك بالله القادر ذي الجلال –الذي كان رسول الله ﷺ أيضاً يجيب إذا استُحلف باسمه– أن تُثبِتَ هذين الخُبْثين في هذا العبد الحقير كما زعمتَ، أعني أني أولاً مخالف لدين الإسلام وكافر، وثانيًا أن الكذب من طبعي وفطرتي (أي أنك تتهمني بتهمتين بأني كافر ولستُ مسلما، حسنًا أثبتْهما الآن بالدليل والبرهان. ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:) لقد قال النبي الكريم ﷺ: (أصدَقُكم رؤيا أصدَقُكم حديثًا) ".

لقد بين النبي الكريم ﷺ في هذا الحديث أن علامة الصادق أن الصدق غالبٌ في رؤاه وأحلامه، وقد ادّعيتَ حالاً أنك تؤمن بالنبي ﷺ، فإن كنتَ ما قلتَ هذا الكلام على سبيل النفاق، بل أنت تؤمن به ﷺ حقا، وتعلم أنه ﷺ صادق في قوله، فتعال يختبر بعضنا بعضا بهذه الطريقة، لنعرف بهذا المعيار من الصادق منا ومن الكاذب بطبعه؟ وكذلك قال الله جل شأنه في القرآن الكريم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، أي أن لهم في هذه الدنيا أيضا إنعامًا وهو تلقّي البشاراتِ، بمعنى أن من خصائص المؤمنين أن رؤياهم تتحقق أكثرَ من رؤى الآخرين. وقد ادعيتَ حالاً أنك مؤمن بالقرآن الكريم أيضًا، حسنًا، تعالَ الآن نختبر أنفسنا على ضوء هذا المعيار القرآني أيضا ونعرف مَن منا متصف بعلامة المؤمن هذه؟ ويمكن أن يتم هذان الاختباران كلاهما في مجلس ببطالة أو لاهور أو أمرتسر يحضر فيه شهود رأوا تحقُّقَ رؤى الفريقين، فمَن ثبت أنه أصدَقُ الفريقين رؤيا وذلك بأدلة قطعية يقينية، فلا بد أن يُسمى خصمه كذابًا أو دجالًا أو كافرًا أو أكفرَ أو ملعوناً وما إلى ذلك، وأن يُلبَس هذا "الوسام" في مكانه. أما إذا كنتَ عاجزاً عن تقديم شيء من هذه الإثباتات بحقي؛ فإنني أرضى، بل أؤتيك مهلة ستة أشهر لكي تنشر رؤاك المتضمنة أموراً غيبيةً في بعض الجرائد، أما أنا فلن أكتفي بتقديم إثباتات على ما تحقق من رؤاي فيما مضى، بل سأنشر مزيدا من رؤاي إزاءك، إن شاء الله القدير. وكما أنك قد ادعيتَ أنك تؤمن بالقرآن الكريم وبالنبي ﷺ، كذلك فإنني أدّعي أني أؤمن بكل القلب والروح بذلك النبي الحبيب ﷺ وبذلك الكتاب المحبوب القرآن الكريم، فالآن سيُختبر بهذه العلامة مَن هو صادق منا في دعواه ومن هو كاذب؟ فلو أني صرتُ مغلوباً بحسب هذه العلامة التي قد أقرّها النبي الكريم ﷺ والقرآنُ الكريم، فستُعَدّ صادقا، وأُعَدُّ كافرا، دجالا، غيرَ مؤمن، وشيطانا، وكذابا، ومفتريا كما زعمتَ، وستكون كل ظنونك الفاسدة بحقّي صدقًا وحقًّا، وأكون حقا قد خدعتُ في كتابي "البراهين الأحمدية"، وأكلتُ أموال الناس، وهضمتُها بوعد مني

باستجابة الدعاء كذبًا، وقضيتُ حياتي في أكل الحرام. أما إذا أثبتت العنايةُ الإلهية التي ترافق المؤمنين الصادقين الصالحين دائما أني صادق، فقلْ لي ألا تستحق حينها هذه التسميات مع مشيختك، أم سيبقى لك مهربٌ حينئذٍ أيضاً.

لقد آلمتَني كثيراً وآذيتني إيذاءً شديداً، وظللتُ أصبر، ولم تخشَ ذرةً ذلك الإلهَ القدير المطّلع على خفايا باطنك. وقد أخبرني بوحيه على سبيل النبوءة بحقك وحق أشياعك المتفقين معك "إني مُهين من أراد إهانتك."

فاعلم يقيناً أنه قد اقترب الوقت الذي يُثبت الله تعالى فيه كذبَك في جميع التهم التي ألصقتَها بي وسيُلقي عليك كلّ ما يُصيب المفترين والبهّاتين من ذلٍّ وخزيٍ وندامة.

أيها الشيخ إنك تدّعي أنك تؤمن بالقرآن الكريم وبالنبي ﷺ. فإن كنتَ صادقاً في هذا القول، فاخرج إلى ميدان الاختبار، حتى يحكم الله بيننا وبينك، ولكي يسودّ وجهُ الكاذب الدجّال.

ينبعث من قلبي الآن مقترح تأييدا للحق، ولا أستطيع الامتناع عن بيانه، لأنه ليس من نفسي، بل هو إلقاء من ربي، ويفيض بقوة وهو:

لما كنتَ قد وصفتَني بأني كافر وأن الكذب ميزة من شيمتي، فأناشدك بالله جل شأنه أن تُبارزني على الفور بحسب الطريقة المذكورة، لكي يَتبين في ضوء القرآن الكريم وكلام النبي ﷺ مَن هو الكاذب والدجّال والكافر".

ثم أردف حضرته عليه السلام قائلا في السياق نفسه:

"إلى جانب ذلك ثمة أمرٌ آخر يُهيّئه الله تعالى بنفسه لكي يغدو وسيلةً لاختبار الصادقين، وهو أن الإنسان يصاب أحياناً بابتلاء لا يرى فيه مخرجاً ولا نجاةً إلا بالكذب. عندئذٍ يُختبر هل في سجيّته الصدق أم الكذب؟ (فقال: عند الامتحان يتبين الصدق والكذب، ويتبين هل يجري على لسانه في تلك الساعة الحرجة الصدقُ أم يخشى على حياته وكرامته وماله فيكذب.) وقد واجه هذا العبدُ المتواضع عدة اختبارات من هذا القبيل، وبيانها يسبب الإطالة، لذا أكتفي ببيان ثلاثة منها مثالا وأقول إذا كنت أنت أيضا قد تعرضت لاختبار صدقك لمثل هذه المواقع فأحلفك بالله جل شانه أن تنشرها حتما مع الإثباتات، لكي يتبين أنك لا تدَّعي الصدق فقط، بل لم تتخل عن الصدق حتى في الامتحان والبلاء، ولم تكذب قط، فواجهْني بنشر هذه الدعوى. (فقد قدم حضرته ثلاثة أحداث من حياته مثالا، فقال)

أولا: من جملتها الواقعة: أنه بعد وفاة والدي، حرَّض مرزا أعظم بيك اللاهوري الشركاء في ملك قاديان على رفع قضية ضدي وضد أخي المرحوم مرزا غلام قادر في محكمة المحافظة أن لهم أيضا حق التملك وكنت أعرف أن الشركاء لا علاقة لهم بالملك، لأن ذلك كان متاعا ضائعا وفنى في عهد السيخ، وكان والدي وحده قد رفع القضايا من أجل هذا الملك واستعادة القرى الأخرى وتحمل خسارة ثمانية آلاف

روبية تقريبا، دون أن يساهم فيها الشركاء بمليم واحد، ففي تلك القضية حين دعوت الله ﷻ للانتصار تلقيت إلهاما نصه: "أجيب كل دعائك إلا في شركائك"، أي لن يُتقبل دعاؤك هذا.

فبعد تلقي هذا الإلهام جمعتُ الأقارب كلَّهم ذكورا وإناثا بمن فيهم أخي أيضا وبعضهم ما زالوا أحياء وقلت لهم صراحة لا ترفعوا القضية ضد الشركاء لأن ذلك منافٍ لمشيئة الله، فالله ﷻ لا يريد أن نرفع القضية. لكنهم لم يقبلوا قولي، وأخيرا واجهوا الخيبة، أما أنا فظهرتْ مني الاستقامةُ بتحمل خسارة آلاف الروبيات، فقد تكبدتُ خسارة الروبيات واستجبت لقول الله وتخليت عن القضية لأن الله نهاني عن ذلك، ويشهد على ذلك جميع أولئك الذين هم أعدائي الآن أني لم أشارك في القضية. فلما كانت الأعمال المتعلقة بالأرض بيد أخي، لذا قد نصحته مرة بعد أخرى لكنه لم يستجب لي فواجه أخيرا الخسارة إذ فشل في القضية".

وقدم حضرته مثالا ثانيا قائلا:

"قبل ما يقارب خمسة عشر أو ستة عشر عاماً، وربما أكثر: أرسلتُ مقالاً دفاعاً عن الإسلام في مواجهة الآريين، إلى مطبعة مسيحي يُدعى رليا رام، وكان محامياً ويقيم في أمرتسر وكان يُصدر جريدة. أرسلتُ المقال في طرد مفتوح الطرفين لطباعته، وأرفقتُ به رسالة أيضا. ولما كانت الرسالة تحتوي على كلمات توحي بتأييد الإسلام وبطلان الأديان الأخرى، وكان مني تأكيد على نشر المقال، فقد ثار ذلك المسيحي لمعارضة دينية وصادف له الهجومُ العدائي، إذ تبيّن أن إرفاق رسالة منفصلة داخل الطرد كان يُعدّ جريمةً في القانون، وكنتُ أنا العبد المتواضع لا أعلم بذلك مطلقا، وكانت عقوبتها بموجب قانون البريد غرامة خمسمائة روبية أو السجن ستة أشهر. فبادر إلى رفع الشكوى إلى مسئوولي البريد لرفع القضية ضد هذا المتواضع في المحكمة، وقبل أن يصلني خبر هذه القضية، أراني الله تعالى في المنام أن المحامي رليا رام أرسل إليّ أفعى لتلدغني، وقليتُها كالسمك وأعدتُها إليه.

وأعرف أن في ذلك كانت إشارة إلى أن في أسلوب الحكم في تلك القضية في المحكمة نظير يمكن أن يستفيد منه المحامون. باختصار قد استُدعيتُ إلى محكمة محافظة غورداسبورة، فجميع المحامين الذين استشرتُهم أشاروا علي بالإجماع أنه لا مخرج إلا بالكذب، وقالوا لي أن أُصرح في الإفادة أني لم أضع الرسالة في الطرد، ولعل رليا رام هو من وضعها. وأضافوا طمأنةً أن بهذه الإفادة ستنحسم القضية بالشهادة ويمكن تبرئة ساحتي بتقديم اثنين أو ثلاثة من الشهود المزورين، وإلا فإن وضع القضية صعب جدا، ولا سبيل للاتقاء والخلاص، لكنني رددت عليهم جميعا قائلا أنا لا أريد أن أترك الصدق بأي حال، فليكن ما كان، فلن ألجأ إلى الكذب. ثم مثلتُ أمام القاضي الإنجليزي في المحكمة في اليوم نفسه أو في اليوم التالي، ومثل مقابلي مسئوول مؤسسة البريد بصفته المدّعي العام. عندها كتب القاضي إفادتي بيده. وأول ما سألني كان: هل أنت وضعت تلك الرسالة في طردك؟ وهل هذه الرسالة وهذا الطرد منك؟ قلتُ دون أدنى تردد:

نعم، هذه رسالتي وطردي أنا، وأنا الذي وضعت الرسالة في الطرد وأرسلتهما. ولكني لم أفعل ذلك بسوء النية لإلحاق خسارة برسوم الحكومة، (أي لم أفعل ذلك لإلحاق خسارة بالحكومة لكي أوفر ثمن طابع) بل لم أر مضمون الرسالة مختلفا عن مضمون المقال، إذ لم يكن فيها أمر شخصي. (لم يكتب أي شيء شخصي) فبسماع هذا الكلام أمال الله تعالى قلب الحاكم الإنجليزي لصالحي. (كان ذلك الحاكم إنجليزيا) وقد صرخ ضدي المسؤول في دائرة البريد كثيرا وأثار ضجة كبيرة وألقى خطابات طويلة باللغة الإنجليزية التي لم أفهم منها شيئا، إلا أن الحاكم الإنجليزي ظل يرفض كلامه بعد كل خطاب قائلا: No, No. وحين أخرج المدّعي كل ما كان في جعبته وجُلّ أدلته، توجه الحاكم إلى كتابة الحكم، ولم يكتب إلا سطرا واحدا أو سطرا ونصف السطر بالكاد، حتى قال لي: حسنا، أسمح لك بالانصراف. عندها خرجتُ من المحكمة وشكرتُ المحسن الحقيقي (يعني الله تعالى) الذي أكرمني بالفتح مقابل المسؤول الإنجليزي. (كان المدعي الذي رفع القضية إنجليزيا ومسؤولا لمكتب البريد.)

وإنني أعلم يقينًا أن الله تعالى نجّاني من ذلك البلاء ببركة الصدق فقط. وكنت قد رأيت في الرؤيا من قبل بأن شخصًا حرَّك يده لإزالة غطاء رأسي. فقلتُ له: ما الذي أنت فاعلُه؟ عندها ترك الغطاء على رأسي وقال، لا بأس، لا بأس".

ثم قال حضرته عليه السلام وهو يضرب مثالا ثالثا: "ومن جملتها مثال آخر أن ابني "سلطان أحمد" رفع قضية ضد هندوسي مدّعيا أنه بنى بيتا على أرضنا، وطلب أن يُهدم البيت. وكان الادّعاء يتضمن أمرا يخالف الواقع، وكان إثباته من شأنه أن يؤدي إلى إبطال القضية. وفي هذه الحالة لن تلحق خسارة الأرض والقضية كلها بسلطان أحمد وحده، بل كنتُ أنا أيضًا سأخسر حق الملكية. فوجد الخصوم فرصة سانحة وسجّلوا اسمي شاهدا في القضية. (قالوا نجعل هذا الرجل شاهدا وسنقبل ما يقول) فسافرت إلى مدينة بطاله ونزلتُ في بيت السيد بابو فتح الدين، نائب مدير مكتب البريد الكائن بقرب مديرية بطاله. وكانت القضية معروضة على قاضٍ هندوسي لم أعد أذكر اسمه، غير أنه كان أعرج. عندها جاءني المحامي الذي وكّله سلطان أحمد وقال: لقد حان المثول أمام المحكمة، فبماذا ستدلي عند المثول؟ قلت: سأقول ما هو الصدق والحق. فقال: إذًا لا داعي لمثولك أصلا، فأنا ذاهب لأسحب القضية. فأفسدتُ القضية بنفسي تمسكا بالصدق فقط، وآثرتُ قول الصدق ابتغاءً لمرضاة الله، واستخففتُ بالخسارة المالية.

وهذان المثالان الأخيران أيضًا ليسا بغير دليل؛ بل يشهد على أولهما الشيخ علي أحمد المحامي في غورداسبور، والسردار محمد حياة خانْ سي ايس آئي، وسيكون ملف القضية موجودا في محكمة غورداسبوره. أما الحادث الثاني فيشهد عليه بابو فتح الدين والمحامي نفسه الذي لم أعد أذكر اسمه، وكذلك القاضي الذي ذكرتُه ولعله قد نُقل الآن إلى مدينة "لدهيانه"، ولعله قد مضت على هذه القضية سبع

سنوات تقريبا. وها قد تذكّرتُ أن أحد الشهود عليها هو السيد نبي بخش، محدد الأراضي الزراعية في بطاله.

يقول حضرته مخاطبا الشيخ: "فيا أيها الشيخ، إذا كان عندك أيضا مثالٌ على أنك ابتُليتَ على هذا المستوى، ورأيتَ فيه أن حياتك وكرامتك ومالك في خطر في حال قولك الصدق، ولكنك لم تترك الحق؛ فأت بذلك الحادث بالله عليك مع ذكر دليل قاطع عليه. وإلا فإنني أعتقد أنه ليس في جعبة معظم المشايخ في العصر الحاضر إلا الأقوال فقط، وإنما هم مستعدون ليبيعوا إيمانهم مقابل ملّيم واحد، لأن نبينا الأكرم ﷺ قد وصف علماء الزمن الأخير بأنهم شرّ مَن تحت أديم السماء. وقد اعترف المرحوم نواب صِدِّيق حسن خانْ، الذي تعدّه مجددا، في كتابه "حجج الكرامة" أن العصر الراهن هو الزمن الأخير المشار إليه؛ لذا فإن الاعتقاد بزهد هؤلاء العلماء وتقواهم دون دليل، يستلزم تكذيب قول النبي ﷺ. لذا عليك أن تقدّم نظيرا لذلك، وإن لم تفعل لثبت أنه ليس في جعبتك إلا الادّعاء البحت بصدق المقال. والمعلوم أن مجرد الادعاء لا يُقبل بغير دليل. الله أعلم بخفايا أمورك وفيما إذا لوّثتَ نفسك بنجاسة الكذب والافتراء مرة أم لا، (أي لا أعلم أنا، والله يعلم لأنه عالم الغيب) أو يعلمه المطّلعون على أحوالك. والذي يتمسك بالصدق عند الابتلاء ولا يتركه، يُختَم على صدقه. فإذا كنتَ تملك هذا الخاتَم فلتقدِّمه، وإلا عليك أن تخشى الله لئلا يفضحك". (مرآة كمالات الإسلام)

ورد في تفصيل القضية المذكورة آنفًا التي رفع فيها مرزا سلطان أحمد دعوى هدم المنزل، أن نائبًا هندوسيًّا يُدعى "شنكر داس" كان يشغل منصبًا حكوميًّا في ولاية جامو. وفي قاديان، استولى على أرض خالية تقع في الجهة الشرقية من المسجد الأقصى وشيّد عليها منزلا، وهو المكان الذي أُسِّست فيه لاحقًا مكاتب "صدر أنجمن أحمدية". وكان مرزا سلطان أحمد قد رفع دعواه مطالبًا بهدم ذلك المنزل، غير أن صياغة القضية اشتملت على أمر مخالف للواقع، وهو ما كان سيؤدي إلى إبطال القضية. وكان في ذلك ضرر لا يقع على مرزا سلطان أحمد وحده، بل على المسيح الموعود عليه السلام أيضًا، إذ كانت حقوق الملكية على تلك الأرض ستضيع. أما الطرف المعارض – أي شنكر داس – فلم يكن مالكًا لتلك الأرض، إلا أنه كان قد استولى عليها فعليًا؛ فهو لم يكن صاحبها الشرعي، لكنه استولى عليها. وأراد هؤلاء أن يستثمروا هذا الوضع القانوني لصالحهم، فاستدعوا حضرته عليه السلام للإدلاء بشهادته أمام المحكمة. وذلك لأنهم رغم عدائهم الشديد لحضرته كانوا يعلمون أن حضرته لن يكذب أبدًا، وأنه سيدلي بشهادته في المحكمة مقرًّا بأن الطرف المعارض هو المستولي على الأرض فعلا منذ أمد بعيد.

وهذا ما حدث بالضبط؛ فلمّا علم صاحبزادة مرزا سلطان أحمد أن الطرف المعارض قد استدعى شهادة حضرته عليه السلام، وهو أيضًا يعلم يقينًا أن حضرته لن يكذب أبدا. لذا قد سحب القضية. على أية حال، فإن تاريخ هذا المنزل الشامخ الفخم يوحي بأنه كان يُعرف بـ"منزل الدِّبتي شنكر داس"، الذي كان شديد

العناد والعداء كما أسلفتُ. وكان هذا المبنى المرتفع يجعل بيوت المسيح الموعود عليه السلام مشكوفة ويسبب انتهاكًا لخصوصيتها. وكان ذلك أحد أسباب خوضه القضيةَ وعدائِه. ومن مظاهر عداء شنكر داس أنه كلما توجه المصلون إلى المسجد الأقصى، كان شنكر داس يجلس أمام باب منزله ويُوجِّه الشتائم إلى الذاهبين والعائدين، ويستخدم شتى أساليب الإيذاء.

وحين كان المعذَّبون على يديه يأتون بشكواهم إلى سيدهم أي المسيح الموعود عليه السلام، كان يُقويّ همهم بعزم وجلال قائلًا: "اصبروا، فلا أحد يصمد أمام المعسكر الملكي. لقد أقام هذا الشخص وكرًا له، لكن معسكرنا أيضًا معسكر ملكي، أي معسكر الله تعالى، ولن يصمد أمامه أحد".

ثم رأى الرائون وسمع السامعون كيف أخذ منزل الديبتي هذا المليء بالبهجة والحيوية يقفر ويخرب. وفي نهاية المطاف غادر الرجلُ المكانَ بسبب مرض أو بسبب آخر، فاشترى هذا المنزل الشيخ يعقوب علي عرفاني. وفي عام ١٩٣٢م أُنشئت فيه مكاتب مؤسسة "صدر أنجمن أحمدية". وقد افتتحها سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه بنفسه.

ومن عجائب قدرة الله، أن ذلك الشخص الذي ما كان يسمح بكل رعونة لأي مصلٍّ ليمرّ من أمام منزله باتجاه المسجد، فقد محا قدرُ الله تعالى اسمه وأثره، وحوّل ذلك المنزل كله وتلك المنطقة بأسرها إلى مسجد، ليكون جزءًا من المسجد الأقصى.

وكان من البركات العظيمة لهذه الشهادة على التزام المسيح الموعود عليه السلام بالصدق والحق أنه لم يتخلَّ عليه السلام عن الحق قط، ولم يُبالِ مقابله بكرامة الأسرة ومكانتها، ولا بضياع الأرض والممتلكات، فكأنه ضحّى بكل شيء بيده طوعًا وبطيب خاطره. وتقبّل الله هذه التضحية وأعلى شأنَها وبارك فيها، حتى أن ذلك البيت موجود اليوم عامرا تحت منارة المسيح لعبادة الله الواحد الأحد.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه عن المحامي الذي كان يتابع هذه القضية: إن الشيخ علي أحمد المحامي الغورداسبوري كان في تلك الحقبة يتابع معظم القضايا نيابةً عنه عليه السلام. وكان بعد الاطلاع على سيرته الطاهرة النقية قد أحسن الظن به غاية الإحسان بعد ادعائه عليه السلام أيضا، مع أن هذا المحامي لم يكن أحمديًا.

فقال له المحامي: لا يوجد شاهد آخر، وهذه الرسالة تتعلق بالموضوع ذاته الخاص بقضية أولى المتعلقة بالبريد، ويمكن اعتبار الرسالة جزءًا من الإعلان. (هنا يروي المصلح الموعود رضي الله عنه تفاصيل قضية البريد) فيقول: قال المحامي للمسيح الموعود عليه السلام إنه يمكن اعتبارها جزءًا من الإعلان، فبإمكانكم أن تقولوا دون ارتكاب كذب: "لقد أرسلتُ إعلانًا فقط ولم أرسل رسالةً". غير أنه عليه السلام رفض ذلك وقال: "هذا لا يمكن، فهذه المراوغة تتنافى مع الصدق؛ لأنني أرسلتُ رسالةً وإن كان مضمونها جزءًا من الإعلان، إلا أنني أرسلت رسالةً أيضًا، فسأقول بكل صراحة إنني أرسلتُها، كيف يمكنني إنكار ما فعلتُ؟".

فلما مثُل عليه السلام أمام المحكمة وسألته عمّا إذا كان قد وضع رسالةً ضمن الإعلان، أجاب بكل وضوح: "نعم".

وكان لا بد من أن يؤثّر هذا الصدق والصمود تأثيرا بالغا في نفوس الآخرين، بل امتد أثره إلى المحكمة أيضا، فقضت ببراءته وقالت: لا يجوز إدانة رجل– على جريمة شكلية بحتة– متمسك بالصدق والاستقامة.

وفي معرض حديثه عن محامي قضية البريد ذاتها، يقول الشيخ يعقوب علي عرفاني: "أخبرني الشيخ علي أحمد المحامي بنفسه": (وهذا بيان المحامي بلسانه الذي أدلى به للشيخ يعقوب علي عرفاني، إذ روى له وقائع تلك القضية قائلًا): عُرضت هذه القضية آخر مرة في محكمة في دِينه نغر، وقد بذلتُ قصارى جهدي لإقناع حضرة المرزا بأن ينكر وضع تلك الرسالة في الطرد البريدي، إذ لم يكن ثمة أي دليل يُثبت أن الرسالة استُخرجت من ذلك الطرد بالذات، فضلًا عن أن شهادة لاله ريليا رام نفسه لم تكن مقبولة بسبب اختلاف الدين. وكلما ألححتُ عليه أكثر، أبى حضرة المرزا بشدة أكبر. قلت له مرارًا بأن العواقب لن ستكون محمودة، وستُلطَّخ سمعة الأسرة الكريمة نتيجة الإدانة في قضية جنائية، وأن الأمور كلها سائرة ضده. ولكن (المسيح الموعود عليه السلام) لم يُذعن لكلامي.

يقول المحامي: خشيةً من أنه لو خسرتُ القضية بعد متابعتي إياها ستلومني العائلة كثيرا، فقد استغللت إصرار حضرته على عدم الإنكار. (أي عندما أعلن المسيح الموعود عليه السلام أنه لن ينكر وضع الرسالة في الطرد)، قلت له: إن كنت لا تأخذ بنصيحتي فلن أتولى الدفاع عنك، ولن أستطيع أن أعمل محاميا لصالحك. وكان في ظني أن الحكم سيصدر بالإدانة، وسيُقال عندها إن ما جرى كان نتيجة مخالفة حضرته لمشورة محاميه، (كان المحامي أيضا يخشى أن حضرته سيعاقَب حتما) وكنت أخشى أن يقول الناس في حالة الإدانة: ما أسوأ هذا المحامي الذي لم يُحسن تقديم القضية! فغبتُ عن جلسة المحكمة غضبان آسفا دفعًا لتعريض نفسي لسوء السمعة، وقلت: حسنًا، لن أحضر المحكمة، وعُرضت القضية على المحكمة في غيابي. ولم تكن لدهشتي حدود (يقول المحامي بنفسه) حين صدر الحكم بإسقاط القضية! ثم قال: ندمتُ، لأنني كنت سأنال سمعة النجاح مجانا لكن الأوان كان قد فات.

كلما روى الشيخ علي أحمد هذه القصة كان يُشيد بثبات المسيح الموعود وصموده إشادةً بالغة لا حدود لها. وظل على علاقة بهذه العائلة حتى آخر نَفَس من حياته؟ كان المسيح الموعود عليه السلام أيضا يحرص على استشارته في كل قضية ويحترمه.

وفي سياق الحديث عن القضايا المختلفة من هذا القبيل، يروي الشيخ نور أحمد رضي الله عنه أن والده وعمه كانا يقولان: "كانت قريتنا ضمن منطقة نفوذ المسيح الموعود عليه السلام، وعمل حضرته وكيلًا عن والده فترةً من الزمن، وقد رافقناه إلى المحكمة في عدة جلسات. وكان دائمًا يتمسك بالحق والصدق حتى وإن عاد ذلك بالضرر على القضية".

باختصار، لم يكن المسيح الموعود عليه السلام يفرّط في الصدق أدنى تفريط، ولم يقترب من الكذب قط.

السيد ميان الله يار يروي أنه في إحدى المرات، عندما كان عمر المسيح الموعود عليه السلام نحو خمسٍ وعشرين إلى ثلاثين سنة، نشأ نزاع بين والده الكريم وبعض المزارعين بسبب قطع الأشجار. وكان رأي والده المحترم أن الأشجار، بحكم ملكيتهم للأرض، تُعدّ ملكًا لهم أيضًا. لذلك أقام دعوى على الورثة، وأرسل حضرته إلى غورداسبور لمتابعة القضية. وكان معه شاهدان.

وعندما عبر حضرته القناة المائية ووصل إلى قرية بَتْنَه والا، جلس قليلًا ليستريح في الطريق، وخاطب رفاقه قائلًا: "إن والدي يُشدّد في هذا الأمر بلا داعٍ، فالأشجار أيضًا مثل الزراعة، وهؤلاء أناس فقراء، فما الضرر لو قطعوها؟ على كل حال، لا أستطيع أن أقول في المحكمة إنها ملكٌ لنا بالكامل، نعم قد يكون لنا فيها نصيب".

وكان للمزارعين أيضًا ثقة كبيرة فيه. فلما سأل القاضي الورثة عن حقيقة الأمر، وكانوا من الفلاحين الذين يعملون لديهم منذ أجيال، أجابوا دون تردد: "اسألوا مرزا صاحب نفسه." أي أنهم قالوا: لسنا بحاجة إلى الشهادة، فاسألوه هو، لأننا نعلم أنه لن يكذب. فسأل القاضي حضرته، فقال: "في نظري، الأشجار مثل الزراعة؛ كما أن لنا نصيبًا في الزراعة، فكذلك لنا نصيب في الأشجار." وعلى هذا البيان حكم القاضي لصالح الورثة.

وبعد ذلك، عندما عاد حضرته إلى قاديان، سأل السيد مرزا غلام مرتضى أحد مرافقيه عن نتيجة القضية، فقال: "كنت خارجًا، وقد دخل حضرته، فاسألوه هو." فاستُدعي حضرته، وذكر القصة كاملة دون زيادة أو نقصان. فلما سمع والده ذلك، غضب غضبًا شديدًا وسخط عليه كثيرًا.

على أية حال، فقد عرضتُ بعض هذه الوقائع المتعلقة بصدق المسيح الموعود عليه السلام. وقد أطلتُ في ذكر واقعة واحدة بسبب اتهامٍ وجّهه أحد المولويين بطريقة غير صحيحة.

وعلى أية حال قدّم حضرته الصدق دائمًا، ولم يقترب من الكذب أبدًا، وكان يوصي أتباعه كذلك بالثبات على الصدق دائمًا. بل إن من شروط البيعة أيضًا أن نكره الكذب ونبقى قائمين على الصدق.

فواجبنا إذن أن نجعل هذه الصفة، صفة الصدق، علامةً مميزةً لنا. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك.